٣.الطابـــــع البـدوي: الشعر الجاهلي مرآة انعكست فيها كل مظاهر الحياة الحياة العربية ، فقد مثل البيئة خير تمثيل ، فتناول كل جانب من جوانب البادية ، فتحدث عنه بتفصيل ، صور ما فيها من جبال ووهاد وطرق ممتدة ومرابع خضر، ونبات زاهٍ ، ووصف الآثار والدمن ــ كما وصف السحب والأمطار والسيول ، رسم مشاهد كثيرة لحيوانها وقص لكل حيوان قصة ، وصور حال هذه الحيوانات في طردها وقتالها ، في أمنها وفي خوفها ، وأستعار منها تشبيهاته وصوره ، تحدث عن المنازل والديار ــ كما تحدث عن ارتحال أهلها ووصف قوافلهم وهوادج نسائهم ، وتابعها في سيرها فرسهم مخططاً لرحلتها مبيناً الموضوع التي تنزل فيها ، والأماكن التي تمر بها ، ولم ينسَ أن يصف ما خلفه الظاعنون من الحجارة والنؤي والأثافي .
ولم يغادر الشعر جانباً من جوانب الحياة البدوية إلا تحدث عنه وسجله وصوره ، ولذلك نجد فيه صورة صادقة للعصر ، في الحرب والسلم ، في مثله العليا وعاداته وطبيعة أهله ...
ولا شك أن هذا الأثر البدوي الواضح الذي ترك وسمه على شعر الشعراء له جرائره على الشعر الجاهلي ، ذلك انه حدد أفق الشعراء في أطار البيئة الذي لا يتجدد ، فأضعف خيالهم وتشابهت صورهم ، وظهر من جراء ذلك : التكرار في الصور والمعاني ، سواء في ذلك المعاني المتكررة عند الشعراء ، أم عند الشاعر الواحد ، ترى ذلك واضحاً في صور الأطلال وتشبيهها بالخط الدارس ، فقد جاءت هذه الصورة عند كثير من شعراء الجاهلية فامرؤ القيس يقول :

لمن طللُ أبصرتُهُ فشجاني ..... كخطِ زبورٍ في عسيب يماني

وتناول حاتم الطائي هذه الصورة فقال :
أتعرف أطلالاً ونؤياً مهدما ..... كخطِك في رِقٍّ كتاباً منَمْنما

وأخذها أبو ذؤيب الهذلي فقال :
عرفتُ الديارَ كرسمِ الكتا ..... بِ يزُبرهُ الكاتبُ الحميري

فالصورة نفسها مكررة عند هؤلاء الشعراء وعند غيرهم ، فضلاً عن تكرارها عند الشاعر الواحد نفسه ، وترى التكرار أيضاً في صورة الديار الدارسة وتشبيهها بالوشم ، من ذلك قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :
ديارٌ لها بالرقمتين كأنها ..... مراجيعُ وشمٍ في نواشرِ معصمِ

وقول طرفة في معلقته :
لخولة أطلالٌ ببرقة ثمهَدِ..... تلوحُ كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

ومثل هذا التكرار في المعاني والصور نجده في وصفهم للبرق والسحاب والمطر، والأمثلة على هذا التكرار والتشابه كثيرة ، وليس مرد ذلك الى السرقة ــ كما قد يُظن ــ ولكن مرجعه الى تأثير البيئة المحدودة المشاهد المتشابهة الصور ، وأليها يُعزى ضعف الخيال . ولم يكن أثر البادية ليقتصر على الصور المستمدة من البيئة والممثلة لما في حياتهم من أحداث حياتهم وأدوات وحيوان ، بل تعدى ذلك الى اللغة نفسها واستعمالاتها ، فقد كانت مرتبطة بالبيئة الجاهلية ، فتعابير الشعراء خاصة وصورهم وأمثالهم كان مستمداً من الإبل وما يتصل بها ، والإبل هي عماد الحياة في البادية ، فالناس قد قالوا وما زالوا يقولون للرجل اذا عجز عن الكلام :"اعتقل لسانه" وإن أحسن في أمرٍ مدحه الناس فقالوا : "لله دره " ،وإن أفسد بينهم قالوا : "ألقحَ الشر بينهم" وإن احتال للشيء عند غيره وداهنه قالوا:"هو يفتل له بين الذروة والغارب" وإن أهمل الشيء وتركه وشأنه قالوا : "القى حبله على غاربه" ونجد تعابير أخرى مرتبطة بحياة الناقة أو الجمل في قولهم :
"وطئه بمنسمه " وضرسه بأنيابه ، وألقى عليه بجرانه ، وتَسنم الأمر ، وأناخ عليه بكلكله ، وأخذ بزمامه ، وإذا اعتزلوا أمراً قالوا : "لا ناقة لي فيه ولا جمل "وهكذا .